وكان فيها اربعة آلاف جمل حاملة من البن والبهار والقماش. وتغدّى احمد باشا مرة في دار السيد احمد المحروقي وجلس عنده نحو ساعتين ثم ركب وصعد الى القلعة فارسل المحروقي خلفهُ هدية فيها بتج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وذهب وتحائف وخيول لهُ ولكبار اتباعهِ

ويظهر مما كان يذكر عرضاً عن البضائع المنهوبة والمسلوبة ان التجارة كانت متصلة مع اليمن والهند والصين والبلاد الاوربية على قلة الامن وصعوبة المواصلات

وكذلك الصناعة لم تكن معدومة ولا سيما صناعة البناء والنقش كما يظهر من وصف بيت الالفي الذي حرق لما كان فيهِ خسرو باشا فقد قيل انهُ كان في كواهُ الواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم اي نحو خمسة عشر جنيهاً وكان مفروشاً كلهُ بالبسط الرومية والفرش الفاخر وفيهِ الستائر والموائد المزركشة وطاولات المراتب كلها مقصبات

هذا وسيأتي الكلام على ما اجراهُ محمد علي في هذا القطر مدة ولايتهِ

هل يسود السلام

لم تمرّ بالانسان حقبة من التاريخ الاّ سمعنا لهُ يسعى في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن يطول بسعيهِ المطال حتى كان يعود منهُ بصفقة الخاسر إمّا لأن الحرب سنّة طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لانهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام. وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام ويوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطال المعدات الحربية وفصل كلّ خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم. فعُقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضغة في الافواه حتى سمّى بعضهم السلام الذي قررهُ بالسلام المسلّح استهزاء. وكأنهُ قُدّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فيما بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصر الروس نفسهُ الى غمارها فلبى مكرهاً او مختاراً وحكّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان

وليس بخافٍ انهُ ان كان ابطال الحروب ميسوراً فالزمان الحاضر ليس زمان البحث في ذلك اذ روسيا واليابان في حرب عوان والدول الاخرى واقفة بالمرصاد لها تتعلّم العظات والعبَر من حربهما. ولكن "وفي الساعة الظلماء يُنتقد البدرُ" فان البحث دائر الآن على عقد

الصلح بينهما وكفّ اذى الحرب عنهما بعد ان غالتهما اثقالها . هذا بوجه خاص . وبوجه عام قام الكتّاب من كلّ حدب وصوب يعيدون الكرّة ويبحثون في ما اذا كان تأييد السلام امرًا ممكنًا وفي مقدمتهم مجلة انكليزية اسمها " مجلة لندن " فانها ارسلت السؤال الآتي الى جماعة من الساسة والعلماء الذين يعوّل على آرائهم في معضلات الامور وطلبت منهم الجواب عليهِ وهو "هل يمكن ان تبطل الحرب ويسود السلام او ان ذلك حلم في المنام لا يمكن تحقيقهُ" ثم اوردت الاجوبة التي جاءتها او استنتجتها من الافعال والاقوال فقالت

جلالة الملك

لا يجهل احد ان جلالة الملك لا يخط سطرًا ولا ينوه بكلمة فيما يتعلق بالمسائل العمومية . ولكنهُ لم يكد يتسنّم العرش حتى اشتهر بين القاصي والداني ميلهُ الى السلام وسعيهُ في اثره فلقب بملك السلام . وانهُ وان كان يعلم ان الحرب ضرورة يستلزمها التمدن الحديث مهما جرّت من الويل والدمار الّا انهُ يعلم ايضًا ان منعها ممكن في بعض الاحوال وخير سبيل الى ذلك تقريب الامم بعضها من بعض وربطها بربط الاخاء والوداد كما ترمي اليهِ سياستهُ الآن

رئيس الولايات المتحدة

ما يصح على الملك يصح على رئيس الولايات المتحدة ايضًا . وقد باح برأيهِ منذ عدة اشهر في رسالتهِ التي بعث بها الى مجلس الامة حيث قال "يجب ان يكون غرض هذه الامة الذي لا يحول وغرض سائر الامم المتمدنة ايضًا تقريب اليوم الذي يسود فيهِ العالم كلهُ سلام العدل على ان من السلام ضروبًا لا تستحب ولا يرغب عاقل فيها . فقد قام في العالم نفر من الظلّام الغاشمين حولوا جنانهُ الناضرة مفاوز قاحلة وسمّوا عملهم سلامًا ومفاوزهم ارض السلام . وكثيرون من الذين عرفوا بفتور الهمة والجبن وقصر النظر وابطرهم اليسر والرفاه وضرب الجهل عليهم قبابهُ احجموا احجام الانذال عن القيام بما يجب عليهم لما فيهِ من انكار النفس وحاولوا ستر قصورهم وتقصيرهم وغاياتهم الدنيئة عن عيونهم ومحو آثارها من صدورهم فسموا ذلك حب السلام . فمن الواجب علينا تجنب السلام الذي يجلبهُ ظلم الظالم وضعف الضعيف كما نتجنب الحرب الجائرة

اما الغاية التي يجب ان ترمي امتنا اليها وسائر الامم معها فهي بلوغ السلام العادل ذلك السلام الذي تأمن كل امة في ظلهِ على حقوقها وتعترف بما يجب عليها للغير وتعمل بهِ . والغالب ان يكون السلام دليل الانصاف ولكن اذا تنافرا او اختصما فان الولاء يقضي علينا بالانحياز الى جانب الانصاف اولاً . والحروب الجائرة كثيرة والسلام الجائر قليل نادر ولكن الاثنين مكرهة فلنجتنبهما "

اللورد اڤبري (السر جون لبك) العالم الانكليزي الشهير

كتب يقول " ان املي بسيادة السلام العام ضعيف جدًّا . فاننا نحن انفسنا شر قدوة للغير بزيادة نفقاتنا البحرية والبرية زيادة بالغة "

السر هنري فولر

وهو احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي ومن الذين تولوا مناصب سامية في الحكومة. وقد كتب يقول :

" ان تقرير السلام العام بحل اسباب النزاع والخصام بين الامم بالتحكيم دون الحرب امر صعب المنال جدًّا. واعتقد انهُ لابدَّ ان يجيء يوم تنضُّ الامم فيهِ ما بينها من الخلاف بالوسائل السلمية ولكن ما من احد يستطيع ان يعين ذلك اليوم السعيد . على ان الخطى التي خطتها امتنا وغيرها من الامم في سبيل التحكيم تبشر بالخير وتدل على جهة اتجاه الرأي العام "

السر فردريك بولوك

من كبار رجال القضاء سابقًا . وقد كتب جوابًا اشار فيهِ الى مقالة كان قد كتبها في هذا الموضوع وقال ان ما قالهُ فيها يقولهُ الآن ايضًا . وهاك بعض ما جاء فيها : —

" يظنُّ الناس عمومًا ان ما يقع من الخلاف بين الحكومات مشابه لدعاوى الافراد وبالتالي انهُ يمكن فضُّ ذلك الخلاف في محاكم القضاء ولكن الامر ليس كذلك . فان الاختلافات الدولية المتعلقة بالحدود وحقوق الملكية تشبه الاختلافات التي تقع بين الافراد من هذا القبيل فتحلُّ بتعيين حَكَم او مجلس تحكيم يقبل الفريقان المتنازعان حكمهُ كما جرى في كثير من مسائل الحدود مما لو وقع النزاع عليهِ في العصور السالفة لتقاضى المتنازعون فيهِ الى السيف

ولكنَّ هناك اسبابًا اخرى للنزاع والخلاف تنشأ عن الاختلاف في تفسير بنود المعاهدات الدولية والاقوال الرسمية كما لو ادَّعت دولة محاربة على دولة محايدة بخرق حرمة الحياد . فدعوى مثل هذه لا تحلُّ في محاكم القضاء العادية بل بالمفاوضات السياسية

ومعظم الخطر في تنازع الدول السلطة والسيادة في بقعة من بقاع المعمور . والسبيل الوحيد الى تدارك هذا الخطر اتفاق عدة دول على حفظ السلم واتحادها معًا بحيث يتألف من ذلك الاتحاد قوة اعظم من القوة المقابلة . فهذا الاتفاق او الخوف منهُ منع كثيرًا من الحروب الصغيرة ولكنهُ قلما نجح في حرب مع دولة قوية تستخفُّ بتعرض الغير لها او تستطيع استمالة هذه الدولة او تلك حفظًا لتوازن القوات

ويقال على وجه عام ان الدول العظمى مطالبة بحل المسائل المتعلقة بكرامة امتها ومصالحها الجوهرية · والاعتبارات المادية والادبية التي تحمل الدول على لزوم الحذر والتدرع بالفطنة في حل المشاكل الدولية زادت زيادة تذكر في السنين الاخيرة . فالمادية اشهر من ان تذكر والادبية لا يمكن التعبير عنها بشكل محدود ولكنها عاملة وتأثيرها محسوس . اما معاهدات التحكيم فاذا بذلت العناية في ابرامها حتى تقتصر على الدعاوي التي يمكن التحكيم فيها دون غيرها فانها تستحق كل مدح لما فيها من الفائدة ولكنها ليست علاجاً ناجعاً في كل حال "

السر غلبرت باركر

من مشاهير كتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب قال في جوابه " لا يسعني التعلل بالآمال الكثيرة من حيث سيادة السلام والدلائل تنذر بحرب عامة ومصيبة طامة . وما دام في الارض امم همجية وامم اقتبست بعض التمدن وامم ذات تمدن كاذب فلا يمكن الوصول الى اتفاق تام على حل المنازعات التي تقع بينها . " فلنتكل على الله ولكن ليبق بارودنا جافاً " (اي لنبق على حذر)

مستر مكنمارا

من مشاهير الكتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب ايضاً . قال

" لا أرى ثمة مانعاً يمنع من حل المنازعات الدولية بالتحكيم بدلاً من القوة مع ازدياد العلوم وانتشار المعارف . فقد كان الافراد قديماً يتحاكمون الى السلاح في حل الخصومات والآن قلما يفعلون ذلك حتى ان المبارزة باتت تظاهراً لا ضرر منه فيعمد المبارز اليها واحدى عينيه على جلده والاخرى على قلم مخبر الجريدة (اي الغاية منها الشهرة لا غير) ومثل ذلك شان العائلات والقبائل فان ما بينهم من الخلاف يسوى الآن بالوسائط السلمية . والى مثله سوف يصير شأن الامم الكبيرة في يوم من الايام . وان اتحاد الامم الانكليزية في العالم كله يعجل مجيء ذلك اليوم "

السر توماس باركلي

من كبار رجال القانون في انكلترا . وقد كتب يقول

" لست أرى ان دوام السلام امر ميسور لان من الحروب ما هو تنازع على البقاء كالحروب الاستعمارية التي تنشأ عن ازدحام السكان في بلاد والتجاءهم بلاداً اخرى . ومنها حروب الاستقلال التي يفضي اليها ظلم الظالم وحكم الغاشم . ومنها الحروب المدنية وهي افضل مما يدعو اليها مهما اشتدت اهوالها وكثرت فظائعها . على انه لا يستحيل ان تصير الحكومات الجمهورية

أقرب الى العقل وأبعد عن الجهل واقلّ اندفاعاً مع تيّار العواطف واكثر اخباراً في الموازنة بين خطر الحرب وفائدتها وبين الشرور والمصائب التي تُشهّر الحرب لمعالجتها وازالتها

هذا وان اميال الناس الذين يتولون شؤون انفسهم متجهة الآن الى مقاومة كلّ ما من شأنهِ ان يجرّهم الى المشاكل الدولية والى تقليل سلطة حكوماتهم على تقرير السلم او الحرب. وتراهم ينظرون بعين النفور والاشمئزاز الى كلّ من يشير بتحكيم السيف ولو تلميحاً. واقول في الختام ان كلّ انكليزي او فرنسوي او اميركيّ او المّاني يذكر الحرب مستخفًّا بها مستهيناً بامرها لا يعدُّ رجلاً يركن اليهِ ويعتمد عليهِ في شؤون الدولة الخطيرة "

مستر روفس أيزاك

احد اعضاء مجلس النواب ومن كبار تجار لندن قال : —

" غاية ما نتناهُ ان نتوصل الامم الى حلّ المشاكل التي تقع بينها بالتحكيم فتُجنّب الحرب بذلك. ولكننا بعيدون عن هذه الامنية الآن. ومع ذلك فاعتقادي ان الناس سوف يصبحون اقلّ ميلاً الى الحرب واكثر رغبة في التحكيم لقطع اسباب النزاع. فان هناك مسائل كثيرة يمكن حلُّها بالتحكيم اما مسائل النزاع على السيادة والنفوذ بين امتين فلا أرى كيف تحلُّ بهِ. ويكاد يستحيل تأليف مجلس يرضى بهِ المتنازعان لحسم ما بينهما من النزاع واذا أُلّف فبأية الطرق ينفّذ حكمهُ. فان قوانيننا واحكام محاكمنا تنفّذ بلا مقاومة لان قوات الدولة كلها تستخدم لتنفيذها اذا اضطرت الحال الى ذلك. ولكن كيف ينفذ حكم هذا المجلس في مصلحة احدى الامتين المتخاصمتين اذا رامت الامة الاخرى مقاومة تنفيذهِ "

السر وليم رمسي

احد كبار العلماء الطبيعيين عند الانكليز. قال

" ايّ شيء اقول ولم يُقل الف مرة. كلنا نتمنى ان تبطل الحرب وذلك يتأتى لنا من احدى طريقين. فإما ان امة من الامم تخرق معاهدة جنيفا وتستخدم في حروبها كرات محشوة بالحامض الهيدروسيانيك (غازسام جدًّا) او مادة اخرى تميت الجيوش خنقاً. وهذا يحدث اذا ضاقت بها الحيل ووصلت الى الحد الاخير في استنفادها فتدعو الحال حينئذٍ الى محاربتها بمثل ماتحارب بهِ. واما ان انتشار اسباب الحضارة والتمدن يؤدي الى تأليف مجلس دولي لحل المشاكل الدولية وسماع الشكاوي المتعلقة بالرسوم الباهظة التي تفرضها دولة على واردات دولة اخرى وما شبه ذلك. ولا ريب ان كلاً منا يتمنى ذلك ولكني اظن ان الطريقة الاولى تجرب اولاً "

السر ادورد رسل

صاحب جريدة " لفربول دايلي بوست " قال

" من الامور المبشرة بالخير المنذرة بحسن المصير رغبة الدول الاوربية تدريجاً عن محاربة بعضها بعضاً . ولكن الميل الى الحرب خلق متحكم في النفوس والاغراء يخوض غمارها كثير في اطراف الارض النائية . ومع ان اهوالها تزيد كل يوم رغماً عما أُدخل من التحسين والاصلاح في تموين الجنود ومعالجة جرحاهم ترى الناس يقدمون عليها وهم لا يحسبون لها حساباً . ولكنني أومل — وان يكن تحقيق املي بعيداً — ان سوف يأتي يوم في الخمسين سنة القادمة تبطل الحرب فيه باجماع الامم المتمدنة على ابطالها لانهُ يثبت لهم انها ضرب من الحمق والجنون "

مسيو جوريس

من اشهر اعضاء مجلس النواب الفرنسوي وزعيم حزب الاشتراكيين فيه . خطب ذات يوم فقال

" بين المسائل الدولية مسائل شتى كانت تظهر خيالية فجعلت تلبس ثوب الحقيقة وتتخذ شكلاً محدوداً وقد اصبح السلام الحقيقي ممكناً في اوربا " الى ان قال

" وفي اوربا محالفتان كبيرتان ترميان الى السلام وقد كان السلام العام مقصد الثورة الفرنسوية وهي لم تكن ترغب في الحرب بل كانت تكرهها وتمقتها وانما اقدمت عليها مكرهة بسبب ضعفها "

التهذيب (١)

ايها الشبان الكرام

لما دعوتموني الى خطاب يُلقى اليكم في محفل من محافلكم تردّدتُ في اول الامر لكبر سني ومللي وعجزي ولكن لما نظرت الى غاية جمعيتكم المحمودة رأيت فيها ما ينهض الى اجابة طلبكم ولو سامني ذلك شيئاً من التعب والاجهاد . ثم اخذت ابحث في موضوع يوافق غرضكم ويُرجى منهُ بعض الفائدة لكم ولامثالكم الذين شأنكم وشأنهم واحد في السن وطلب العلم فلم ارَ شيئاً افضل وانسب من اللقب الذي لقّبتم جمعيتكم بهِ وهو تهذيب الشبيبة السورية . غير انكم قد اضفتم الى ما تطلبونهُ لانفسكم من ذلك غوثاً لبعض اخوانكم الطلبة واظهرتم ما فيكم من ايثار الغير فوجب لكم الثناء والعون والدعاء بالفلاح . وكيف كان فان فاعل الخير يلقى الجزاء

(١) خطبة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج وشجع علم الامراض الواقفة في لندن والاكادميا الطبية في نيويورك تليت في محفل لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت في ٣ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٥